

الأربعون العطائيّة

أربعون حكمة منتخبة من حكم

ابن عطاء الله السكندري

-رحمه الله-

انتخبها وشرحها

أ. كريم بلحاج مصطفى

منشورات مركز الإمام مالك الإلكتروني


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

***

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيّدنا وحبيبنا محمّد النبيِّ الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتّابعين إلى يوم الدّين.

وبعد؛ فهذه أربعون حِكمة منتخبة من حِكَم الإمام تاج الدّين أحمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عطاء الله السّكندري المتوفَّى سنة (709هـ)، التي سارت بها الرّكبان، فاستفاد منها كلّ سالك ومريد، رتّبتها على التّبويب الذي وضعه الإمام المتّقي الهندي (ت975هـ) في كتابه المسمّى "المنهج الأتمّ في تبويب الحكم"، مع إدخال شيء من التّعديل على عناوين بعض الأبواب لتكون مناسبة أكثر –من زاوية نظري القاصر– لموضوعات الحِكم، ثمّ شرحتها شرحا مختصرا تتمّ به الفائدة لخّصته من شرح الإمام العَلَم الشيخ عبد المجيد الشرنوبي (ت1348هـ)، رحم الله الجميع.

انتخبتها لتكون عصارة مختصرة هيّنة، سهلةَ الحفظ، تُنير الطّريق لكلّ سائر إلى الله تعالى، سائلا المولى تبارك وتعالى لها القَبول، والحمد لله ربِّ العالمين.

قاله بسانه وخطّه ببنانه
أ. كريم بن بلقاسم بلحاج مصطفى
جمّال-المنستير\تونس
في 18 ربيع الأنور 1444هـ يوافق 14 أكتوبر 2022م





باب الإخلاص

الحكمة (1)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«الأَعْمَالُ صُوَرٌ قَائِمَةٌ، وَأَرْوَاحُهَا وُجُودُ سِرِّ الإِخلاَصِ فِيهَا»

★★★

المقصود:

أي أنّ أعمال البرِّ كالصّور وهي الأشباح، وأرواحها التي بها حياتها وجود الإخلاص فيها، والإخلاص على ثلاثة أنواع:

- إخلاص العبّاد: وهو سلامة أعمالهم من الرّياء وحظِّ النّفس.
- إخلاص المحبّين: وهو العمل لله إجلالا وتعظيما، لأنّه أهل لذلك جلّ جلاله.
- إخلاص المقرّبين: وهو شهود انفراد الحقّ بتحريكهم إلى العمل، فهم يعملون بالله، لا يرون لأنفسهم عملا.



الحكمة (2)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«رُبَّمَا دَخَلَ الرِّيَاءُ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لاَ يَنْظُرُ الخَلْقُ إِلَيْكَ»

★★★

المقصود:

أي كما يدخل الرّياء عليك بحضور الخَلْق، يدخلُ عليك أيضا إذا عملتَهُ وحدك، وعلامة ذلك:

- أن تقصدَ بعملك توقير النّاس لك.
- المسارعة إلى قضاء حوائجك.
- أن تغضب على من قصَّر في حقِّك الذي تستحقّه عند نفسك.

فمن وجد شيئا من ذلك فهو مراءٍ بعمله وإن أخفاه على سائر المخلوقات، وليجتهد في إسقاط الرّياء بنوعيْه الجليِّ والخفيِّ عن قلبه.



الحكمة (3)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«اسْتِشْرَافُكَ أَنْ يَعْلَمَ الخَلْقُ بِخُصُوصِيَّتِكَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ صِدْقِكَ فِي عُبُودِيَّتِكَ»

★★★

المقصود:

أي تطلّع العبد وميلُ قلبه إلى أن يعلم الخَلْقُ بخصوصيّته التي خصّه الله بها من الأعمال الصّالحة ونحوها، دليلٌ على عدم صدقه في عبوديّته، لأنّ الصّدق في العبوديّة يقتضي طرح الأغيار والاكتفاء بالملك الغفّار جلّ جلاله.

قال أحد العارفين: «من أحبّ أن يطّلع النّاس على عمله فهو مراءٍ، ومَن أحبّ أن يطّلع النّاس على حاله فهو كذّاب».



باب التوبة

الحكمة (4)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«لاَ صَغِيرَةَ إِذَا قَابَلَكَ عَدْلُهُ، وَلاَ كَبِيرَةَ إِذَا وَاجَهَكَ فَضْلُهُ»

★★★

المقصود:

أي لا صغيرة من الذّنوب بل كلُّها كبائر إذا قُوبل العبد بعدله تعالى؛ فإنّ صفة العدل إذا ظهرت على من أبغضه الله تلاشت حسناته وعادت سيّئاته كبائرَ.

ولا كبيرة إذا واجه العبدَ فضلُهُ؛ فإنّ صفة الفضل -وهي إعطاء الشيء بغير عوض- إذا ظهرت لمن أحبّه تعالى اضمحلّت سيّئاته وبُدّلت حسناته.

كان من دعاء أحد العارفين قوله: «اللهم اجعل سيّئاتنا سيّئات من أحببتَ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضتَ».



الحكمة (5)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«إِذَا وَقَعَ مِنْكَ ذَنْبٌ فَلاَ يَكُنْ سَبَبًا لِيَأْسِكَ مِنْ حُصُولِ الاِسْتِقَامَةِ مَعَ رَبِّكَ، فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ آخِرَ ذَنْبٍ قُدِّرَ عَلَيْكَ»

★★★

المقصود:

أي إذا وقع العبد في ذنب من الذّنوب، فلا يجب أن يكون ذاك الذّنب سببا لوقوع العبد في اليأس من حصول الاستقامة.

فالاستقامة لا يُناقضها الذّنب إذا جرى به القدر، وإنّما يُناقضها الإصرار على الذّنب والعزم على فعله ثانيا.

وعليه فالواجب على العبد أن يُبادر بالتّوبة والرّجوع، فقد يكون ذاك آخر ذنبٍ تستديم بعده الاستقامة.



باب العلم

الحكمة (6)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«العِلْمُ النَّافِعُ هُوَ الَّذِي يَنْبَسِطُ فِي الصَّدْرِ شُعَاعُهُ، وَيُكْشَفُ بِهِ عَنِ القَلْبِ قِنَاعُهُ»

★★★

المقصود:

أي العلم النّافع هو الذي ينبسط في الصّدر نورُهُ فيتّسع وينشرحُ للإسلام، ويُكشف به عن القلب غِطاؤُهُ فتزول به الشّكوك والأوهام.

وهو العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته، وبكيفيّة التعبّد له والتأدّب بين يديه.

قال الإمام الجُنيد رحمه الله: «العلم أن تعرف ربّك ولا تعدو قدرَك».



باب الصّلاة

الحكمة (7)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«الصَّلاَةُ طُهْرَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ أَدْنَاسِ الذُّنُوبِ، وَاسْتِفْتَاحٌ لِبَابِ الغُيُوبِ»

★★★

المقصود:

أي أنّ الصّلاة التامّة المستوفية لشروطها وآدابها ذات الخشوع والخضوع هي مطهرة للقلوب من كلِّ دنس وذنب، فتتأهّل القلوب إذا طهرت وتزكّت إلى رفع الحُجب عنها والأستار فترى ما كان غائبا عنها من الفتوح والمعارف والأسرار.

فيُحرص على هذه العبادة العظيمة سرِّ الطّهارة، وباب الفتح والنّجابة.





باب الخوف والرّجاء

الحكمة (8)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«لاَ يُخْرِجُ الشَّهْوَةَ مِنَ القَلْبِ إِلاَّ خَوْفٌ مُزْعِجٌ أَوْ شَوْقٌ مُقْلِقٌ»

★★★

المقصود:

أي لاَ يكون سببا في إخراج الشّهوة المتمكّنة من القلب إلاّ خوف من الله تعالى مزعجٌ أو شوقٌ إليه مقلقٌ يردان على القلب.

ومنشأ الخوف النّظر في الآيات المحتوية على ما أعدّه الله للعصاة من العذاب الأليم.

ومنشأ الشّوق النّظر في الآيات المحتوية على ما أعدّه الله للطّائعين من النّعيم.

الحكمة (9)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«الرَّجَاءُ مَا قَارَنَهُ عَمَلٌ، وَإِلاَّ فَهْوَ أُمْنِيَّةٌ»

★★★

المقصود:

أي الرّجاء الحقيقيّ هو ما كان باعثا على العمل والاجتهاد، لأنّه من رجا شيئا طلبه وإلاّ فهو أمنيّة أي مجرّد أمنيّة لا طائل تحتها.

قال الحسن البصري رحمه الله: «إنّ قوما ألهتهم أمانيُّ المغفرة حتّى خرجوا من الدنيا، وليس لهم حسنة، يقول أحدهم: أُحسن الظنّ بربّي وهو يكذب، لو أحسن الظنّ بربّه لأحسن العمل».

باب رياضة النّفس

الحكمة (10)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«تَشَوُّفُكَ إِلَى مَا بَطَنَ فِيكَ مِنَ العُيُوبِ خَيْرٌ مِنْ تَشَوُّفِكَ إِلَى مَا حُجِبَ عَنْكَ مِنَ الغُيُوبِ»

★★★

المقصود:

أي تطلّعك لما خفي عنك من العيوب القلبيّة الباطنة كالحسد والغلّ والرّياء والسّمعة والمداهنة وحبّ الرّياسة والجاه ونحو ذلك، حتّى تتوجّه همّتك إلى زوال ذلك بالمجاهدة والرّياضة، خيرٌ من تطلّعك إلى ما خفي عنك من الكرامات والأسرار.

فالنّفس تطلب الكرامة، ومولاك جلّ جلاله مُطالبك بالاستقامة.

الحكمة (11)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«إِذَا الْتبَسَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ فَانْظُرْ أَثْقَلَهُمَا عَلَى النَّفْسِ فَاتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَثْقُلُ عَلَيْهَا إِلاَّ مَا كَانَ حَقًّا»

★★★

المقصود:

أي إذا التبس على العبد أمران واجبيْن كانا أو مندوبَيْن فلينظر أيّهما أثقل على النّفس فليُبادر إليه، لأنّ النّفس ميّالة إلى الحظوظ تفرُّ من الحقوق، فلا يثقُل عليها إلاّ ما كان حقّا.

وأمّا صاحب النّفس المطمئنّة فلا يحتاج إلى هذا، وإنّما يكون نظره إلى ما كان أكثر فائدة وأعظم مزيّة.

باب التّسليم لأمر الله

الحكمة (12)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«سَوَابِقُ الهِمَمِ لاَ تَخْرِقُ أَسْوَارَ الأَقْدَارِ»

★★★

المقصود:

أي ما قدّره الله في الأزل لا تخرق أسوارَه المحيطة به الهممُ السّوابق وهي إرادة النّفس الباعثة على العمل والتّغيّير، وقد شبّه الأقدار بالمدينة التي لها أسوار كناية عن الصّيانة والحفظ.

فيجب على العبد أن يسلّم للأقدار، ويعتقد أنّ الهمم ما هي إلاّ أسباب لا تأثير لها، وما ينشأ عنها إنّما هو بقضاء الله وقدره، فيكون عندها لا بها.



باب الصّبر

الحكمة (13)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«لاَ تَسْتَغْرِبْ وُقُوعَ الأَكْدَارِ مَا دُمتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَإِنَّهَا مَا أَبْرَزَتْ إِلاَّ مَا هُوَ مُسْتَحِقُّ وَصْفِهَا وَوَاجِبُ نَعْتِهَا»

★★★

المقصود:

أي لا تعدّ وقوع الأكدار أمرا غريبا ما دمت في هذه الدّار الدنيويّة، فإنّ الأكدار ملازمة لهذه الدّار، إذْ من ضروريّاتها وجود المكاره فيها، فما أظهرت إلاّ وصفَها المستحقّ لها، ونعتَها الواجب لها.

قال أحد السّلف: «مَنْ طلب ما لم يُخْلَق أتعب نفسه ولم يُرزق، قيل له وما ذاك؟ قال: الرّاحة في الدنيا».

فعلى العبد أن يُوطِّن نفسه على المحن، حتّى إذا نزلت به سكن فلم يتحرّك قلبه.



باب الشّكر

الحكمة (14)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النِّعَمَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزَوَالِهَا، وَمَنْ شَكَرَهَا فَقَدْ قَيَّدَهَا بِعِقَالِهَا»

★★★

المقصود:

أي أنّ شكر النّعم يحفظها، وتركه يعرّضها للزّوال، ومن كلام العارفين قولهم: «الشّكر قيد للموجود، وصيدق للمفقود»، فكأنّ النّعم هنا كالإبل، والشّكر عِقالها، فإن لم تُقيّدت نفرت.

وقد سُئل الإمام الجُنيد رحمه الله عن الشّكر فقال: «أن لا يُعصَى الله بنِعَمه».



باب الذِّكر

الحكمة (15)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«أَكْرَمَكَ اللهُ بِكَرَامَاتٍ ثَلاَثٍ: جَعَلَكَ ذَاكِرًا لَهُ، وَلَوْلاَ فَضْلُهُ لَمْ تَكُنْ أَهْلاً لِجَرَيَانِ ذِكْرِهِ عَلَيْكَ، وَجَعَلَكَ مَذْكُورًا بِهِ، إِذْ حَقَّقَ نِسْبَتَهُ لَدَيْكَ، وَجَعَلَكَ مَذْكُورًا عِنْدَهُ فَتَمَّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ»

★★★

المقصود:

أي أنعم الله على العبد المؤمن بكرامات ثلاثٍ:

- يسّر له الذِّكر، ولولا فضل الله عليه ما يسّر له جريان ذكره على لسانه وقلبه.
- جعله بين النّاس منسوبا إليه لتعلّقه بطاعته وذكره؛ فيقال هذا ذاكر الله ووليّه ونحو ذلك.
- تمّم عليه النّعمة فجعله مذكورا عنده سبحانه وتعالى.



باب الدّعاء

الحكمة (16)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«لاَ يَكُنْ تَأَخُّرُ أَمَدِ العَطَاءِ مَعَ الإلْحَاحِ فِي الدَّعَاءِ مُوجِبًا لِيَأْسِكَ، فَهُوَ ضَمِنَ لَكَ الإِجَابَةَ فِيمَا يَخْتَارُهُ لَكَ لاَ فِيمَا تَخْتَارُهُ لِنَفْسِكَ، وَفِي الوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُ لاَ فِي الوَقْتِ الَّذِي تُرِيدُ»

★★★

المقصود:

أي على العبد أن يُداوم على الدّعاء ولا يكن تأخّر العطاء مع الإلحاح موجبا لليأس من الإجابة، فإنّ الله تعالى قد ضمن إجابة الدّاعي فيما يختاره هو للعبد لا فيما يختاره العبد لنفسه، فإنّه جلَّ جلاله أعلم بما يصلح للعبد من العبد لنفسه.

فمن اعتقد ذلك علم أنّ المنع عين العطاء، ولذلك قال ابن عطاء الله في موضع آخر من حِكمه: «ربّما منعك فأعطاك، وربّما أعطاك فمنعك».

الحكمة (17)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«خَيْرُ مَا تَطْلُبُهُ مِنْهُ مَا هُوَ طَالِبُهُ مِنْكَ»

★★★

المقصود:

أي خيرُ ما يطلبُهُ العبد من ربِّه ما هو طالبه منه من الاستقامة على سبيل العبوديّة له سبحانه وتعالى، فإنّ هذا خير ما يُطلب إذ لا تُساويه حظوظ الدّنيا ومراداتها الفانية.

كان من دعاء الإمام الجُنيد: «اللهم اجعل غاية قصدي إليك ما هو لك، ولا تجعل قصدي إليك ما أطلبه منك».



باب الفكرة

الحكمة (18)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«الفِكْرَةُ سِرَاجُ القَلْبِ، فِإِذَا ذَهَبَتْ فَلاَ إِضَاءَةَ لَهُ»

★★★

المقصود:

أي أنّ الفكرة بما هي تفكّر في مخلوقات الله الذي يهدي إلى موجدها جلّ جلاله هي بمنزلة السّراج يستضيء بها القلب؛ إذْ بها تنجلي الحقائق، وتُعرف آفات النّفس ومعائبها ومكائدها، فإذا غابت الفكرة فلا إضاءة للقلب، فيغدو حينئذٍ كالبيت المظلم.



باب التفرّس

الحكمة (19)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«مِنْ عَلاَمَاتِ النُّجْحِ في النِّهَايَاتِ، الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ فِي البِدايَاتِ»

★★★

المقصود:

أي من علامات النُّجح في النّهايات أي الظّفر بالمراد الرّجوع إلى الله تعالى بالتوكّل عليه والاستعانة به في البداية، فمن صحّح بدايته نجح في نهايته، ومن لم يصحّح البداية انقطع عن الوصول ولم يُحصِّل المأمول.

قال أحد العارفين: «مَن ظنّ أنّه يصل إلى الله بغير الله قُطع به، ومَن استعان على عبادة الله بنفسه وُكِل إلى نفسه».



باب الزهد

الحكمة (20)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«مَا قَلَّ عَمَلٌ بَرَزَ مِنْ قَلْبٍ زَاهِدٍ، وَلاَ كَثُرَ عَمَلٌ بَرَزَ مِنْ قَلْبٍ رَاغِبٍ»

★★★

المقصود:

أي أنّ العمل الصّادر من الزّاهد كثير في معناه وإن قلّت صورته، لأنّه قد سلم من الآفات كالرّياء والسّمعة والتصنّع للنّاس وغير ذلك، بخلاف العمل الصّادر من الرّاغب في الدّنيا والمنغمس فيها فإنّه على عكس ذلك.

سأل أحدهم أحد العارفين: إنّي أعمل أعمال البرِّ ولا أجد لها حلاوة في قلبي، فقال له: «لأنّ عند بنت إبليس، وهي الدنيا، ولا بدّ للأب أن يزور ابنته في بيتها، وهو قلبك، ولا يؤثّر دخوله إلاّ فسادا».



باب التّواضع

الحكمة (21)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«التَّوَاضُعُ الحَقِيقِيُّ هُوَ مَا كَانَ نَاشِئًا عَنْ شُهُودِ عَظَمَتِهِ وَتَجَلِّي صِفَتِهِ»

★★★

المقصود:

أي أنّ التّواضع الحقيقيّ الذي لا تبقى معه شائبة كِبر هو ما كان ناشئا عن شهود عظمة الله تبارك وتعالى، وتجلّي صفته على العبد، فعندها تصفو النّفس من الغشّ والكِبر والعُجب، فتنطبع للحقِّ، وتتواضع للخَلْق.



باب الفقر والفاقة

الحكمة (22)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«خَيرُ أَوْقَاتِكَ وَقْتٌ تَشْهَدُ فِيهِ وُجُودَ فَاقَتِكَ وَتُرَدُّ فِيهِ إِلَى وُجُودِ ذِلَّتِكَ»

★★★

المقصود:

أي خير أوقات المؤمن تلك التي يشهد فيها وجود فقره إلى مولاه تبارك وتعالى، ويستشعر ذُلّه بين يديه جلّ جلاله، وشرّ الوقت ذاك الذي يستغني فيه العبد عن مولاه لوجود الحُجب المانعة من الوصول إليه تبارك وتعالى.

باب الطّمع

الحكمة (23)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«مَا بَسَقَتْ أَغْصَانُ ذُلٍّ إِلاَّ عَلَى بَذْرِ طَمَعٍ»

★★★

المقصود:

أي ما خرجت شجرة الذُلّ وتشعّبت أغصانها إلاّ لمّا كان الطّمع بَذْرَها الأوّلَ، فمن أراد السّلامة من آفات الذُلِّ المهلكة فلا يغرس بَذْرَ الطّمع في قلبه.

وقد أحسن من قال: «الطّمع لا يزال صاحبه يتملّق إلى النّاس حتّى يحصل له من نور يقينه الإفلاس».

وقد شبّه الذُلَّ بالشّجرة الباسقة أي الطّويلة المتشعّبة الأغصان على سبيل الاستعارة المكنيّة حتّى يقع في نفس المتلقّي أنّ الطّمع أصل جميع الآفات الكثيرات الموجبة للمهلكات في الدّارين.





باب رعاية الوقت

الحكمة (24)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«إِحَالَتُكَ الأَعْمَالَ عَلَى وُجُودِ الفَرَاغِ مِنْ رُعُونَاتِ النَّفْسِ»

★★★

المقصود:

أي إحالة العبد الأعمال الصّالحة عَلَى وُجود الفراغ من أعباء الدّنيا وأشغالها التي لا تنقضي من رُعونات النّفس أي من حماقتها، لأَنّ فيه إيثار الدّنيا على الآخرة.

وقد أحسن من قال:

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِــنَــــا**وَحَاجَاتُ مَنْ عَاشَ لاَ تَنْقَضِي

وقال الآخر:

فَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ**وَلاَ انْتَهَى أَرَبٌ إِلاَّ إِلَى أَرَبِ





باب الصّحبة

الحكمة (25)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«لاَ تَصْحَبْ مَنْ لاَ يُنْهِضُكَ حَالُهُ وَلاَ يَدُلُّكَ عَلَى اللهِ مَقَالُهُ»

★★★

المقصود:

أي لا تصحبك من لا يُرقّيك حاله، ولا يقودك مقالُه إلى معرفة الله تعالى، فإنّ الطّبع سرّاق، وصحبة الأشرار تقود إلى عظيم الآفات، والانحطاط عن عَلِيِّ الدّرجات.

وقد أحسن القائل:

لاَ تَصْحَبِ الكَسْلاَنَ فِي حَالاَتِهِ**كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخَـــرَ يَفْسُدُ

عَدْوَى البَلِيدِ إِلَى الجَلِيدِ سَرِيعَةٌ**كَالجَمْرِ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَخْمُدُ





باب العزلة

الحكمة (26)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«ادْفِنْ وُجُودَكَ فِي أَرْضِ الخُمُولِ، فَمَا نَبَتَ مِمَّا لَمْ يُدْفَنْ لاَ يَتِمُّ نِتَاجُهُ»

★★★

المقصود:

أي ادفن أيّها المؤمن شهرتك في أرض الخمول، فإنّ ذلك ممّا يُعين على الإخلاص، بخلاف حبّ الظّهور فإنّه من جملة القواطع القاصمة للظّهور.

وما نبت من حبِّ الظّهور لا يتمّ نتاجه، إذْ من تعاطى أسباب الشّهورة في بداياته قلَّ أن يُفلح في نهاياته.

وقد أحسن القائل:

عِشْ خَامِلَ الذِّكرِ بَيْنَ النَّاسِ وَارْضَ بِهِ**فَذَاكَ أَسْلَمُ فِـــي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ

مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ لَـــــمْ تَسْلَمْ دِيَانَتُهُ**وَلَمْ يَزَلْ بَيْنَ تَحْريــــــكٍ وَتَسْكِينِ





باب الوعظ

الحكمة (27)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«كُلُّ كَلاَمٍ يَبْرُزُ وَعَلَيْهِ كِسْوَةُ القَلْبِ الَّذِي مِنْهُ بَرَزَ»

★★★

المقصود:

أي أنّ اللّسان تُرجمان القلب، فإذا تطهّر القلب وأشرقت أنواره اكتسى الكلام نورا، فانتفع به المستعمون وازدادوا سرورا، وأمّا إذا تدنّس القلب بالأمراض والذّنوب فإنّ ما خرج منه من كلام لا يُوجب إلاّ قسوة القلب والبُعد عن الله تبارك وتعالى.



باب الاستدراج

الحكمة (28)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«خَفْ مِنْ وُجُودِ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ وَدَوَامِ إِسَاءَتِكَ مَعَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا ﴿سَنَسْتَدرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف 182]»

★★★

المقصود:

أي احذر أيّها المؤمن من وُجود إحسانه إليك سبحانه وتعالى مع مبارزتك له بترك الأوامر والانغماس في النّواهي أن يكون ذلك استدراجا؛ أي تدريجا لك شيئا فشيئا حتّى يأخذك بغتة، نسأل الله السّلامة.



باب خصائص العارف

الحكمة (29)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«العَارِفُ لاَ يَزُولُ اضْطِرَارُهُ، وَلاَ يَكُونُ مَعَ غَيْرِ اللهِ قَرَارُهُ»

★★★

المقصود:

أي أنّ العارف بالله تعالى له وصفان يُعرف بهما:

- اضطراره إلى مولاه في كلّ حال، فليس اضطراره إليه كاضطرار العامّة عند مثيرات الأسباب من الفقر والمرض والحاجة ونحو ذلك، فإنّه بقدر معرفته لنفسه بالذُّلِّ والافتقار، يعرف ربَّه بالعزّ والعظمة والاقتدار.
- لا يكون مع غيره، إذْ هو لا يأنس إلاّ بالباري جلّ جلاله، دائم الوحشة من المخلوقات.



باب واردات الأحوال

الحكمة (30)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«تَنَوَّعَتْ أَجْنَاسُ الأَعْمَالِ لِتَنَوُّعِ وَارِدَاتِ الأَحْوَالِ»

★★★

المقصود:

أي تنوّع الأعمال الظّاهرة من صلاة وصيام وقيام وصدقات وغيرها من أعمال البرِّ منوط بما يرد على القلب من أحوال وهي المعارف والأسرار، فكلّما ورد عليه العلم بفضائلها حرّك الجوارح إليها، أليس هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كلُّه.



باب الأنوار

الحكمة (31)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«الأَنْوَارُ مَطَايَا القُلُوبِ وَالأَسْرَارِ»

★★★

المقصود:

أي أنّ الأنوار الإلهيّة التي ترد على القلب، والتي تحصل بكثرة الأذكار والرّياضات والأعمال والطّاعات، هي مطايا القلوب، وسرّ باطنه؛ توصل صاحبها إلى مراده، وهو القرب من الله تعالى وأُنس به جلّ جلاله.

وقوله مطايا جمع مطيّة، فحال الأنوار هنا كحال المطيّة التي توصل راكبها إلى المطلوب.



باب مراتب السّالكين

الحكمة (32)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«السَّتْرُ عَلَى قِسْمَيْنِ: سَتْرٌ عَنِ المَعْصِيَةِ، وَسَتْرٌ فِيهَا. فَالعَامَّةُ يَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ السَّتْرَ فِيهَا خَشْيَةَ سُقُوطِ مَرْتَبَتِهِمْ عِنْدَ الخَلْقِ، وَالخَاصَّةُ يَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ السَّتْرَ عَنْهَا خَشْيَةَ سُقُوطِهِمْ مِنْ نَظَرِ المَلِكِ الحَقِّ»

★★★

المقصود:

أي أنّ النّاس مع المعصية إذا وقعوا فيها على قسمين:

- عامّة يطلبون السَّتر في المعصية خوف اطّلاع النّاس عليهم، وهم بهذا يستخِفّون بنظر الجبّار جلّ جلاله.
- خاصّة يطلبون من الله السَّتر عنها، بأن يجعل بينهم وبينها حجابا، حتّى لا تخطر بقلوبهم خشية سقوطهم من نظر الملك الحقّ سبحانه.



باب القبض والبسط

الحكمة (33)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«العَارِفُونَ إِذَا بُسِطُوا أَخْوَفُ مِنْهُمْ إِذَا قُبِضُوا، وَلاَ يَقِفُ عَلَى حُدُودِ الأَدَبِ فِي البَسْطِ إِلاَّ قَلِيلٌ»

★★★

المقصود:

أي أنّ العارفين في مقام البَسْط -وهو الرّجاء- أخوف على أنفسهم في مقام القبض -وهو الخوف-، لأنّ البسط فيه مناسبة لهوى النّفس، فيخافون من الوقوع فيما تدعو إليه من التحدّث بالأحوال والكرامات، فأقرب المقاميْن إليهم مقام القبض للأمن فيه على النّفس من السّقوط في تجاوز حدود الأدب.



باب قرب العبد من الله

الحكمة (34)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«تَحَقَّقْ بِأَوْصَافِكَ يُمِدُّكَ بِأَوْصَافِهِ؛ تَحَقَّقْ بِذُلِّكَ يُمِدُّكَ بِعِزِّهِ، تَحَقَّقْ بِعَجْزِكَ يُمِدُّكَ بِقُدْرَتِهِ، تَحَقَّقْ بِضَعْفِكَ يُمِدُّكَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ»

★★★

المقصود:

أي تحقّق أيّها المؤمن بأوصاف عبوديّتك يُمدّك بأوصاف ربوبيّته، فمن جلس على بساط الذُلّ وقال: يا عزيز مَن للذّليل سواك، وعلى بساط العجز وقال: يا قادر مَن للعاجز سواك، وعلى بساط الضَّعف وقال: يا قويُّ مَن للضّعيف سواك، وجد الإجابة طوع يديه؛ فيصير عزيزا بالله، قادرا بالله، قويّا بالله.

الحكمة (35)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«إِنَّمَا أَجْرَى الأَذَى عَلَى أَيْدِيهِمْ كَيْ لاَ تَكُونَ سَاكِنًا إِلَيْهِمْ، أَرَادَ أَنْ يُزْعِجَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لاَ يَشْغَلَكَ عَنْهُ شَيْءٌ»

★★★

المقصود:

أي أنّ الله قد سلّط عليك أيّها المؤمن أذى الخَلْق حتّى يُزهّدك فيهم ويردّك إليه، فهي في الحقيقة نعمة لمن تأمّلها، لأنّ فيها توصيل العبد إلى مَن لا تصل النّعم إلاّ منه، فهو الأحقّ بالوصل جلّ جلاله.

قال أحد العارفين: «الصيحة من العدوّ سوط الله، يضرب به القلوب إذا سكنت غيرَه».



باب معرفة الله

الحكمة (36)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«أَمَرَكَ فِي هَذِهِ الدَّارِ بِالنَّظَرِ فِي مُكَوِّنَاتِهِ، وَسَيَكْشِفُ لَكَ فِي تِلْكَ الدَّارِ عَنْ كَمَالِ ذَاتِهِ»

★★★

المقصود:

أي أمرك أيّها المؤمن أن تنظر ببصرك في مكوّناته أي أكوانه في هذه الدّار لتقف على كمال صنعته المفضي إلى تحصيل المعرفة الكاملة بكمال ذاته العليّة جلّ جلاله.

وصدق القائل:

فَيا عَجَباً كَيفَ يُعصى الإِلَهُ**أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَــــــهُ آيَةٌ**تَدُلُّ عَلى أَنَّــــــهُ واحِدُ

وَللهِ في كُــــــــلِّ تَحريكَةٍ**وَتَسكينَةٍ أَبَــــداً شاهِدُ

الحكمة (37)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«مَا حَجَبَكَ عَنِ اللهِ وُجُودُ مَوْجُودٍ مَعَهُ، إِذْ لاَ شَيْءَ مَعَهُ، وَلَكِنْ حَجَبَكَ عَنْهُ تَوَهُّمُ مَوْجُودٍ مَعَهُ»

★★★

المقصود:

أي ما حجبك أيّها المريد عن وُجود الله وُجودُ موجودٍ معه، لأنّ ذلك محال فهو الله لا إله إلاّ هو سبحانه، ولكنّ العبد يُحجب عن ربّه بتوهّم موجود معه، وهذه التوهّمات باطلة لا حقيقة لها.

وعليه فلا حاجب لك أيّها العبد عن الله تعالى، ولا يحول بينك وبين معرفته حائل، فالكون كلّه يقودك إليه، لا عائق بينك وبينه إلاّ توهّمٌ سكن قلبك.



باب خفايا ألطافه تعالى

الحكمة (38)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«إِنَّمَا جَعَلَ الدَّارَ الآخِرَةَ مَحَلاًّ لِجَزَاءِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ هٰذِهِ الدَّارَ لاَ تَسَعُ مَا يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ، وَلِأَنَّهُ أَجَلَّ أَقْدَارَهُمْ عَنْ أَنْ يُجَازِيَهُمْ فِي دَارٍ لاَ بَقَاءَ لَهَا»

★★★

المقصود:

أي أنّه تعالى جعل الدّار الآخرة محلاًّ لجزاء عباده المؤمنين دون الدنيا لوجهيْن اثنين:

- أنّ هذه الدّار لا تسع ما يريد أن يعطيهم من صنوف النّعم التي لا تحصى ولا تعدّ.
- أنّه أجلَّ أي أعظم أقدارهم أن يُجازيهم في دار لا بقاء لها، فإنّ كلّ ما ينفى وإن طالت مدّته كَلاَ شيء.



الحكمة (39)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«مَتَى أَوْحَشَكَ مِنْ خَلْقِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ لَكَ بَابَ الأُنْسِ بِهِ»

★★★

المقصود:

أي متى أوحشك الله من خَلْقِه بأن نفّر قلبك من الاستئناس بهم، فإنّه يريد أن يفتح لك الأُنس به جلّ جلاله، لتصير له وحده، ثمّ أتمّ عليك النّعمة فصيَّرك من الأحباب، وآنسك بالخطاب، نسأل الله من فضله.

الحكمة (40)

***

قال ابن عطاء الله رحمه الله:

«لاَ تَنْفَعُهُ طَاعَتُكَ وَلاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُكَ، وَإِنَّمَا أَمَرَكَ بِهَذِهِ وَنَهَاكَ عَنْ هَذِهِ لِمَا يَعُودُ عَلَيْكَ»

★★★

المقصود:

أي أنّ الحقَّ تبارك وتعالى أيّها المؤمن لا تنفعه طاعتك فهو الغنيّ الحميد جلّ جلاله، ولا تضرّه معصيتك ولا معصية كلِّ الأنام، فإنّه منزّه سبحانه أن يصل إليه مكروه من خَلْقِه.

وإنّما أمرك بالطّاعة ونهاك عن المعصية لما يعود عليك بالنّفع في الدّارين، وإنّ هذه لنعمة عظيمة لمن وعاها، فلا تقصّر في شكرها، وضعها بين عينيك على الدّوام لتستحضرها.

-نشكره عزّ وجلّ على جميل نعمه وواسع كرمه-

-والحمد لله ربّ العالمين-



فهرس الموضوعات